حَقِيقَة أَصْحَابِ الأَعْرَافِ

د. الليث صالح محمّد عثوم *

(*) أستاذ مساعد بقسم أصول الدين – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة العلوم الإسلامية – عمان – المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص البحث:

تناول هذا البحث دراسة الآيات والأحاديث المتعلقة بأصحاب الأعراف، حيث قام الباحث بتوضيح معنى الأعراف، وكذا الوقوف على أقوال العلماء في حقيقة أصحاب الأعراف ، وما مصيرهم في الآخرة.

وقد توصّل البحث إلى نتائج قيّمة، وفوائد مهمّة، وبخاصة في مسألة تعيين أصحاب الأعراف، وخلصت الدراسة إلى أنّ جميع الأقوال الواردة في تعيين أصحاب الأعراف لا يوجد دليل معتبر عليها، وأنّ أرجاها :هو قول من يقول: إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، ومع الميل لهذا القول إلا أننا نرى أنّ هذا مما تقصر عنه فهوم البشر ، وما كان كذلك فالذي يلزمنا نحوه إنما هو : التصديق والإيمان والامتثال، وتفويض أمره إلى الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ الدارس لآيات القرآن العظيم يجد أنّ للمكلفين الناجين في الدار الآخرة طبقات ومراتب، ومن تلك الطبقات والمراتب: طبقة أصحاب الأعراف.

أهمية البحث:

قد وصف الله تعالى أصحاب هذه الطبقة، فقال: " وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (الأعراف:٤٦٤٧)، وتباينت أقوال المفسّرين في أصحاب الأعراف من هم؟ حتى زادت أقوالهم في ذلك على عشرين قولاً، وبعض تلك الأقوال يدخل في بعض، والكثير منها لا دليل عليه، والمرفوع منها لا تثبت أسانيده، فلأجل الوقوف على حقيقة أهل الأعراف كانت أهمية هذا البحث. الذي اشتمل على ثلاثة مباحث وخاتمة، وهي:

المبحث الأول: معنى الأعراف في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: من هم أصحاب الأعراف ؟ .

المبحث الثالث: مصير أصحاب الأعراف.

الخاتمه: وفيها عرض لأهم نتائج البحث.

أسئلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية:

١ – على ماذا تدل كلمة (الأعراف) في اللغة الاصطلاح؟

٢ – من هم أصحاب الأعراف الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم؟ وهل هناك من اختلف في تعيينهم ووصفهم؟ أم أن العلماء اتفقوا عليهم؟

٣ – ما مصير أصحاب الأعراف؟ وما هو حالهم يوم القيامة؟ ولماذا وصفوا بذلك؟

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في الاختلاف الكبير بين الأقوال التي وردت في بيان من هم أصحاب الأعراف وتباينها، حيث يستحيل الجمع بين هذه الأقوال، فلا بد – إذن – من ترجيح أحدها، والترجيح صعب، ثم – إنه تبعاً لورود هذه الأقوال الكثيرة وصعوبة الترجيح – واجهتنا مشكلة تحديد مصير أصحاب الأعراف.

هدف البحث:

يحاول البحث تسليط الضوء على موضوع أصحاب الأعراف، وهو موضوع غيبي من السمعيات، التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من خلال ما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة، من هم؟ وما مصيرهم؟ والإجابة على التساؤلات المتعلقة بهم، مع التأكيد على الالتزام بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

المنهج العلمي للبحث:

استخدم البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت باستقراء ما ورد في موضوع أصحاب الأعراف من آيات الكتاب الحكيم، وما ورد من السنة النبوية، وما ورد من آثار موقوفة على الصحابة أو التابعين، وما جاء في كتب التفسير من كلام حول الآيات التي ذكرتهم، ثم قمت بتحليل هذه النصوص ووقفت عليها مبيناً صحيحها من سقيمها والترجيح بينها.

الدراسات السابقة:

بحسب اطلاعي لم أجد من تناول هذه المسألة ببحث مستقل، والله تعالى أعلم.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا مقبولاً عنده، ومرضيّاً عند عباده، وأن ينفع به طالبي الحقّ، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

المبحث الأول : معنى الأعراف في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى الأعراف لغة: قال الإمام ابن منظور: " الأعراف في اللغة: جمع عُرف وهو كل عال ومرتفع، وقال الزجّاج: الأعراف أعلى السور، وعرف الأرض: ما ارتفع منها، وأعراف الرياح والسّحاب: أوائلها وأعاليها "[1]، وذكر الإمام القرطبي عن ابن عبّاس قال: " الأعراف سور له عرف كعرف الديك " [2]، فالعرف هو كل مكان عال مرتفع، ومنه عرف الفرس وعرف الديك لعلوّهما، فكلّ مرتفع من الأرض يسمّى عرفاً، فبسبب علوّه وارتفاعه يصير أعرف ممّا انخفض منه، ولكونه مشرفاً على ما دونه[3]، وإنما قيل لعرف الديك عُرف ؛ لارتفاعه على ما سواه من جسده، ومنه قول الشمّاخ:

وظلت بأعراف تعالى كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز[4]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار لسان العرب)، ج: ٢ ، ص: ٧٤٨، وللاستزادة انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م)، ط ١، ج: ٢ ، ص: ٢٠٨ ٢٠٩، مادة: عرف، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (الرياض: بيت الأفكار الدوليّة)، ط ١، ص: ١١٤٢، مادة: عرف.

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج: ٧ ، ص: ٢١١ .

(٣) الرازي، تفسير الرازي، (بيروت: دار الكتب العلميّة)، ط ١، ج: ١٤ ، ص: ٧٢؛ الألوسي، روح المعاني، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٤م)، ط ١، ج: ٤ ، ص: ٣٦٣؛ البقاعي، نظم الدرر،(بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٦م)، ط ١، ج: ٣ ، ص:٣٦ .

(٤) الشماخ، ديوان الشماخ، (القاهرة: مطبعة دار السعادة، ١٣٢٧هـ)، ط ١، ص:٥٣ .

ومعنى قول الله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ (الأعراف:٤٦)، أي: على أعراف السور، وهي شرفه"[١]، وعن ابن عبّاس قال: الأعراف: هو الشيء المشرف[٢].

ثانياً: معنى الأعراف اصطلاحاً: تباينت أقوال أهل العلم في تحديد معنى الأعراف اصطلاحاً، وحاصل ما ذكروه فيما يلي:

١ – الأعراف: سور بين الجنة والنار، قاله حذيفة بن اليمان، وقتادة، ومجاهد، وابن جريج، والسدّي، والضحّاك، وهو إحدى الروايات عن ابن عبّاس[٣].

٢ – أعالي السّور المضروب بين الجنة والنار، وهو إحدى الروايات عن ابن عبّاس، قال الرازي: وهو الذي عليه الأكثرون[٤].

---

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١١.

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير، (الرياض: بيت الأفكار الدوليّة) ط ١، ص٦٨٠؛ البيهقي، شعب الإيمان، (بيروت: دار الفكر)، ج: ١، ص:٢٨٩.

(٣) الطبري، تفسير الطبري، ج٨ ص٢٤؛ السيوطي، الدر المنثور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٣م)، ط ١، ج٣ ص٤١٨، وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ عن مجاهد؛ ابن عطية، تفسير ابن عطية، (بيروت: دار الكتب العلميّة،١٩٩٣م)، ط ١، ج٢، ص٤٠٤؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج ١، ص٢٨٩؛ الثعالبي، تفسير الثعالبي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م)، ط ١، ج٣، ص٣٣؛ القاسمي، محاسن التأويل، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م) ط ١،ج٥، ص١٧٩٠؛ الطبراني، تفسير الطبراني،(عمّان: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨م)، ط ١، ج٣ص١٤٢؛ الشوكاني، فتح القدير، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٠م)، ط ١، ص٥٨٨؛ الشربيني، تفسير الشربيني، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٤م) ط ١، ج ١، ص٥٥٠؛ المراغي، تفسير المراغي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ط ١، ج٨، ص١٥٨؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص٦٨٠؛ ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج٥، ص١٤٨٣.

(٤) الرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص:٧٢؛ الطبري، تفسير الطبري، ج: ٨، ص:٢٤٨؛ ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج: ٥، ص: ١٤٨٣١ ١٤٨٤؛ أبو حيان، البحر المحيط، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ط ١، ج: ٤، ص:٣٠٣؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص:٣٦٣؛ الجمل، حاشية الجمل على تفسير الجلالين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ط ١، ج: ٣، ص:٤٢؛ الزمخشري، الكشاف، (بيروت: دار الفكر) ج: ٢، ص: ٨١؛ البروسوي، روح البيان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ط ١، ج: ٣، ص: ٢١٤؛ البغوي، تفسير البغوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م)، ط ١، ص: ٤٦٤؛ ابن الجوزي، زاد المسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٢م)، ص:٤٩٧.

٣ – تلّ بين الجنة والنار، حُبس عليه ناس من أهل الذنوب، وهو مرويّ عن ابن عباس[١].

٤– أنّ معنى قوله تعالى: (وَعَلى الأَعْراف) أي: وعلى معرفة أهل الجنة والنار رجال يعرفون كل أحد من الجنة والنار بسيماهم، وهو قول الحسن، والزجّاج في أحد قوليه[٢]، وإنما سُمّي أعراف ؛ لأنّ أصحابه يعرفون الناس، قاله السدّي، في أحد أقواله[٣].

٥ – الأعراف: واد عميق خلفه جبل مرتفع، قاله ابن لهيعة[٤].

٦ – الأعراف: جبال بين الجنة والنار فهم على أعرافها على ذراها، قاله سعيد[٥].

٧ – أنه الصّراط: قاله ابن جريج في أحد القولين عنه[٦].

٨ – أنه جبل أُحُدْ، قال الثعالبي: "وذكر الزهراوي حديثاً أنّ رسول الله صلى

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٨، ص:٢٤٨، السيوطي، الدرّ المنثور، ج: ٣، ص:٤١٨، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص:٣٠٣؛ ابن عطية، تفسير ابن عطية، ج: ٢، ص: ٤٠٤؛ الثعالبي، تفسير الثعالبي، ج: ٣، ص: ٣٣؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص٦٨٠.

(٢) الرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص:٧٢؛ السيوطي، الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤١٨، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر عن حذيفة؛ الشربيني، تفسير الشربيني، ج: ١، ص:٥٥٠؛ المراغي، تفسير المراغي، ج: ٨، ص:١٥٩؛ البغوي، تفسير البغوي، ص٤٦٤.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج: ٥، ص: ١٤٨٤، برقم ٨٤٩٧.

(٤) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ص: ١٤٨٤، السيوطي، الدرّ المنثور، ج: ٣، ص:٤١٨.

(٥) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ص: ١٤٨٤، السيوطي، الدر المنثور، ج: ٣، ص: ٤١٨، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن سعيد بن جبير؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٢؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ص٤٩٧؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص:٣٦٣.

(٦) السيوطي، الدر المنثور، ج: ٣، ص: ٤١٨، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن جريج؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص:٣٦٣، الرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص: ٧٢، القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٣، ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج: ٥، ص: ١٤٨٤.

الله عليه وسلم قال: أنّ أُحُداً جبل يحبّنا ونحبّه، وأنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار، يحتبس عليه أقوام، يعرفون كلاً بسيماهم، هم إن شاء الله من أهل الجنة "[1]، وروي مرفوعاً: "أن أُحداً على ركن من أركان الجنة "[2].

قلت: وجميع الوجوه السابقة محتملة ما عدا السابع والثامن، فالصراط لا تنطبق أوصافه الواردة في الأحاديث على السور المضروب بين الجنة والنار، أمّا عن جبل أحد فالأحاديث الواردة في أنه المقصود بالسور ضعيفة.

أما الوجوه الستة الأولى فهي تحتمل أنّ الأعراف سور مضروب بين الجنة والنار، وهو كالجبل أو التلة يحجز بين أهل النار وأهل الجنة، يقف أهل الأعراف على أعاليه، فيعرفون أصحاب النار بسيماهم، ويعرفون أصحاب الجنة بسيماهم، وهو المقصود بقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (الحديد: ١٣)، والله أعلم.

---

(١) الثعالبي، تفسير الثعالبي، ج: ٣، ص: ٣٣. والحديث لم أجده بهذا اللفظ، أمّا قوله صلى الله عليه وسلم: «أُحُد جبل يحبّنا ونحبّه» فثابت، رواه البخاري ص٢٨٩ برقم ١٤٨٢، كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: (لا يسألون الناس إلحافا)، بيت الأفكار الدوليّة، الرياض، ط ١؛ ورواه مسلم ص٥٤٥ برقم ١٣٩٢، كتاب الحج، باب: أُحُد جبل يحبّنا ونحبّه، بيت الأفكار الدوليّة، الرياض، ط ١، وأما الزيادة بأنه (جبل من جبال الجنة) فقد قال فيها ابن الجوزي في كتابه الموضوعات: «لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» انظر ج ١ ص١٤٨، وللاستزادة انظر: الألوسي، تفسير الألوسي، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٢؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٣.

(٢) أخرجه أبو يعلى، ج: ١٣، ص: ٥٠٨ برقم ٧٥١٦؛ والطبراني في الكبير، ج: ٦، ص: ١٥١ برقم ٥٨١٣؛ وابن الجوزي في الموضوعات، ج: ١، ص: ١٩٨؛ وابن عراق في تنزيه الشريعة، ج: ١، ص: ١٩٥؛ وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج: ٣، ص: ٥١٥ برقم ٥٩١١، وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، وفيه عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني، وهو ضعيف، (دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م)، فالحديث لا يصح وهو منقطع، فقد ذكره الثعالبي دون إسناد وإنما قال: ذكر الزهراوي، والزهراوي محدث أندلسي توفي سنة ٤٥٤هـ، انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ج ١ ص١٤٨.

المبحث الثاني : من هم أصحاب الأعراف ؟.

اختلف العلماء في تعيين أصحاب الأعراف اختلافاً كبيراً ، وتعددت أقوالهم حتى زادت على العشرين، ومن الأقوال التي وقفت عليها:

الأول: أنهم قوم من بني آدم ، استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا على السور حتى يقضي الله فيهم، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود وابن عبّاس وحذيفة بن اليمان وسعيد بن جبير والضحّاك والشعبي وغيرهم كثير .

قال ابن كثير: " وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدّثنا عبد الله بن محمد بن عقيل، حدّثنا عبيد الله بن الحسين، حدّثنا سليمان بن داوود، حدّثنا النعمان بن عبد السلام، حدّثنا شيخ لنا يقال له: أبو عبّاد عن عبد الله بن محمّد ابن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّن استوت حسناته وسيّئاته، فقال : « أولئك أصحاب الأعراف ، لم يدخلوها وهم يطمعون »[1].

وقال ابن عطيّة: « وقع في مسند خيثمة بن سليمان في آخر الجزء الخامس عشر حديث عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيّئات، فمن رجحت حسناته على سيّئاته مثقال صؤابة دخل الجنة، ومن رجحت سيّئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار**) ، قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيّئاته ؟ قال: (**أولئك أصحاب**

(١) ذكره ابن كثير في التفسير ص ٦٨١، وقال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. قلت: عبد الله بن محمد بن عقيل الذي في السند : قال عنه أبو حاتم: مجهول. انظر: المزي، تهذيب الكمال، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م)، ط٥، ج: ١٤، ص: ٣٠٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م)، ط ١، ج: ٤، ص: ٦٢؛ الذهبي، ديوان الضعفاء والمتروكين، (بيروت: دار العلم، ١٩٩٨م)، ط ١، ج: ٢، ص: ٢٥، فالحديث ضعيف، ولأن في إسناده كذلك سليمان ابن داوود الذي ضعفه البخاري وابن معين وابن عدي، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٤ ص ٢٩٩ .

الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون)[1].

وروى الحاكم بسنده عن حذيفة بن اليمان قال:(أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربّك، قال: قوموا ادخلوا الجنة ؛ فإني قد غفرت لكم)[2].

وروى الطبري بسنده العديد من الروايات في هذا المعنى، منها:

عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار، قال: فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم[3].

وقال سعيد بن جبير وهو يحدّث عن ابن مسعود، قال: (يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيّئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيّئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثمّ قرأ قول الله ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ (المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣) ثم قال: إنّ الميزان يخفّ بمثقال حبّة ويرجح؛ فمن استوت حسناته وسيّئاته

---

(١) ذكره ابن عطيّة في تفسيره، ج: ٢، ص: ٤٠٤، والسيوطي في الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤٢٠، ونسبه لأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر، قلت: والحديث موجود في تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٤ ص٣١٣ حديث رقم ١٦٠٨ وهو ضعيف ؛ لأن في إسناده عباد بن كثير، انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، (تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦ه، ١٩٨٦م)، ط ١، ج ١ ص ٢٩٠، والظاهر أنّ الأحاديث المرفوعة الموضّحة لحقيقة أهل الأعراف من يكونون: كلها ضعيفة إن كانت لفظاً، والوارد في ذلك كله من جنس الموقوف، وأما إن كانت حكماً فيمكن القول فيها بالمجمل : بأنها صحيحة. ولذلك رأينا الإمام ابن كثير يقول في تفسيره ص ٦٨١: «والله أعلم بصحّة هذه الأخبار المرفوعة، وقصاراها أن تكون موقوفة».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج: ٢، ص: ٣٥٠ برقم ٣٢٤٧، كتاب التفسير، وقال: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شُعَب الإيمان ج: ١، ص: ١٨٩.

(٣) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٤٩، برقم ١١٣٩٨؛ وابن كثير في التفسير ص ٦٨١؛ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ج: ١، ص: ١٨٩؛ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤١٩.

كان من أصحاب الأعراف؛ فوُقفوا على الصراط، ثمّ عرفوا أهل الجنة وأهل النار؛ فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا(سلام عليكم) وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار(قالوا رَبّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْم الظَالمين) فيتعوّذون بالله من منازلهم، قال: فأمّا أصحاب الحسنات، فإنهم يُعْطَوْنَ نوراً فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطى كلّ عبد يومئذ نوراً، وكلّ أُمّة نوراً، فإذا أتوا على الصّراط سلب الله نور كلّ منافق ومنافقة، فلمّا رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون، (قالوا ربّنا أتمم لنا نورنا) وأمّا أصحاب الأعراف، فانّ النور كان في أيديهم، فلم ينزع من أيديهم ، فهنالك يقول الله تعالى :(لَمْ يَدْخُلوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونْ) فكان الطمع دخولاً، قال: فقال ابن مسعود: على أنّ العبد إذا عمل حسنة كتب له به عشراً، وإذا عمل سيّئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلب وُحدانه أعشاره[1].

وعن قتادة قال: قال ابن عبّاس: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيّئاتهم، ولا سيّئاتهم على حسناتهم[2] .

وعن الشعبي، عن حذيفة قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فهم على سور بين الجنة والنار " لَمْ يَدْخُلوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونْ"[3].

وعن قتادة – أيضاً – قال: كان ابن عبّاس يقول: الأعراف بين الجنة والنار ، حبس عليه أقوام بأعمالهم، وكان يقول: قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيّئاتهم، ولا سيّئاتهم على حسناتهم[4]، وعنه أيضاً قال: قال ابن عبّاس: أهل الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم[5] .

---

(١) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٠، برقم ١١٣٩٩؛ وابن كثير في التفسير، ص ٦٨١؛ والسيوطي في الدرّ المنثور ج: ٣، ص: ٤٢٣.

(٢) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٠، برقم ١١٤٠١؛ والسيوطي في الدرّ المنثور ج: ٣، ص: ٤٢٣.

(٣) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥١، برقم ١١٤٠٣.

(٤) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥١، برقم ١١٤٠٣.

(٥) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٢، برقم ١١٤٠٣.

وعن الضحّاك قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم[1]، وعن سعيد بن جبير قال: أصحاب الأعراف استوت أعمالهم[2]، وعن ابن عبّاس قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فوقفوا هنالك على السور[3]، وعن أبي علقمة قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم[4].

وقال الشعبي: " أرسل إليّ عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، وإذا هما قد ذَكَرا من أصحاب الأعراف ذكْراً ليس كما ذَكَرا، فقلت لهما: إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة ، فقالا: هات، فقلت: إنّ حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، قالوا: ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينا هم كذلك، اطلع إليهم ربّك فقال: اذهبوا وادخلوا الجنة، فاني قد غفرت لكم" [5].

وهنالك روايات عديدة عن الصّحابة والتابعين في هذا المعنى، ذكرها الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن كثير في تفسيره، والسيوطي في الدرّ المنثور، وكلها تشير إلى أنّ المقصود بأهل الأعراف إنّما هم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم[6].

---

(١) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٢، برقم ١١٤٠٤.
(٢) ذكره الطبري في التفسير، ج٨، ص٢٥٢، برقم ١١٤٠٥؛ وورد في تفسير ابن أبي حاتم، ج٥، ص١٤٨٥، رقم ٨٥٠١.
(٣) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٢، برقم ١١٤٠٥.
(٤) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٢، برقم ١١٤٠٦.
(٥) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٤٩، برقم ١١٣٩٧؛ وابن كثير في التفسير، ص ٦٨١؛ وابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٤، برقم ١٨٤٩٩.
(٦) للاستزادة انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج: ٨، ص: ٢٤٩ فما بعدها؛ والطبراني، تفسير الطبراني ج: ٣، ص: ١٤٢؛ والقرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١١؛ والصاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م)، ط١، ج: ٢، ص: ٢٦٤؛ والشوكاني، فتح القدير، ص٥٨٨؛ والبحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٣٣٠٤؛ والبروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٤، والشربيني، تفسير الشربيني، ج: ١، ص: ٥٥٠؛ والثعالبي، تفسير الثعالبي، ج: ٣، ص:٣٣؛ والرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص: ٧٣؛ الصاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين، ج: ٢، ص: ٢٦٤؛ البغوي، تفسير البغوي، ص٤٦٤؛ الخازن، تفسير الخازن، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م)، ط١، ج: ٢، ص: ٥١١.

لكنها روايات غير مرفوعة، بل موقوفة على الصّحابة الكرام، فهي من أقوال الصّحابة، وأقوال الصّحابة ليست حجّة في هذا الباب ؛ لأنها موقوفة عليهم ، وليس لها حكم المرفوع، قال الإمام ابن قيّم الجوزية: " وقد اختلف في تفسير الصّحابي هل له حكم المرفوع أو الموقوف؟ على القولين: الأوّل اختيار أبي عبد الله الحاكم، والثاني هو الصّواب، ولا نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نعلم أنه قال "[1]، مع أن الحافظ العراقي قد جعلها في حكم المرفوع ، إلا أنني أرجح ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية في هذا الباب، والله أعلم.

الثاني: أنهم مساكين أهل الجنة، وهو قول ابن مسعود في أحد قوليه، وكعب الأحبار، وذكره ابن وهب عن ابن عبّاس[2].

جاء في الزهد لهناد بن السّري: عن عبد الله بن الحارث، قال:(أصحاب الأعراف يُنتهى بهم إلى نهر يقال له : الحياة، حافتاه قصب الذهب، أراه قال: مكلل باللؤلؤ، فيغتسلون منه اغتسالة، فيبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثمّ يعودون فيغتسلون، كلما اغتسلوا زادت بياضاً، فقال لهم: تمنوا ، فيتمنّون ما شاؤوا، قال: فيقال لهم: لكم ما تمنّيتم وسبعين ضعفاً، قالوا: فهم مساكين أهل الجنة)[3].

فالأثر ثابت عن التابعي عبد الله بن الحارث، والسند صحيح إليه، ولم أجد سنداً

---

(١) ابن قيّم الجوزيّة، طريق الهجرتين وباب السعادتين، (القاهرة مكتبة الإيمان، ١٩٩٦م)، ط ١، ص: ٤١٨،.

(٢) انظر القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ)، ط٢، ج:٢، ص: ٧٣٦.

(٣) أخرجه هناد بن السري في الزهد له، ص:١٥٠ برقم ١٩٨؛ وابن المبارك في الزهد، ص:٤٨٢ برقم ١٣٦٨؛ وابن أبي شيبة في المصنف، ج: ٧، ص: ٤٠ برقم ٣٤٠٤١؛ وذكره ابن جرير في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥١ برقم ١١٤٠٣ موقوفاً على عبد الله بن الحارث؛ وابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٥ برقم ٨٥٠٢ مرسلاً من قول ابن عباس؛ والسيوطي في الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤٢١؛ وصحّح ابن كثير في تفسيره ص ٦٨١ أنه من قول عبد الله بن الحارث. وللإستزادة انظر: القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٦؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ الرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص: ٧٤.

يثبت ذلك عن الصّحابي الجليل ابن عبّاس – رضي الله عنه – فيبقى القول قول تابعي، وأقوال التابعين لا يحتجّ بها في مثل هذا الأمر.

الثالث: المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم، قاله شرحبيل بن سعد، وذكر الطبري في ذلك حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

روى الطبري: "عن أبي معشر، عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم، عن محمّد ابن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف، فقال: (قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة)"[1].

والحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج به، وعلته: يحيى بن شبل وأبو معشر اللذان في السند – فإنهما ضعيفان[2].

---

(١) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٢ برقم ٢٤٠٩؛ وابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٤ برقم ٨٤٩٨؛ وابن كثير في التفسير ص ٦٨١؛ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ج: ١، ص: ٢٩٠؛ وللإستزادة انظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢؛ تفسير الرازي، ج: ١٤، ص: ٧٣؛ الصاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين، ج: ٢، ص: ٢٦٤؛ القاسمي، محاسن التأويل، ج: ٥، ص: ١٧٩٠، أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٦؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦؛ الشربيني، تفسير الشربيني، ج: ١، ص: ٥٥٠؛ الثعالبي، تفسير الثعالبي، ج: ٣، ص: ٣٣؛ البغوي، تفسير البغوي، ص٤٦٥؛ الخازن، تفسير الخازن، ج: ٢، ص: ١٠١ ٥١.

(٢) جاء في ترجمة يحيى بن شبل بأنه مجهول لا يعرف، انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤ ص٣٨٥، وجاء في ترجمة أبي معشر، واسمه: نجيح بن عبد الرحمن السندي: قال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد لا يحدّث عن أبي معشر، ويضعّفه، ويضحك إذا ذكره. وقال عبيد الله بن فضاله: سمعت ابن مهدي يقول: أبو معشر، تعرف وتنكر، وقال أحمد: حديثه عندي مضطرب ، لا يقيم الإسناد، ولكن أكتب حديثه ، أعتبر به، وقال ابن معين: ليس بقوي، وليس بشيء، هو ضعيف، يكتب من حديثه الرقاق، كان رجلاً أميّاً، يُتقى أن يروى من حديثه المسند. وقال أبو حاتم: هو صالح ليّن الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو داود والنسائي: ضعيف، وقال ابن المديني: شيخ ضعيف. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦)، ط١، ج: ٧، ص: ٤٣٦٤٣٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج: ٧، ص: ١٢١٥؛ المزي، تهذيب الكمال، ج: ٢٩، ص: ٣٢٥٣٢٩؛ العقيلي، كتاب الضعفاء الكبير، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٨م)، ط٢، ج: ٤، ص: ٣٠٨، والحديث ضعفه الشيخ محمود شاكر في

وقال الطبري: " حدّثني المثنّى، ثني عبد الله بن صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني خالد، عن سعيد، عن يحيى بن شبل: أنّ رجلا من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال أنّ أباه أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف، فقال:(هم قوم غزوا في سبيل الله ، عصاة لآبائهم فقتلوا، فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله، وحُبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة)"[1].

والحديث لم أجده في أي من دواوين السنة[2] ، فالقول بأنّ أصحاب الأعراف هم من خرجوا للجهاد عصاة لآبائهم فاستشهدوا قول واه لا يصح، ولا يلتفت إليه.

الرابع: أنهم ملائكة ، وليسوا من بني آدم، قاله أبو مجلز، فقيل له: لا يقال للملائكة رجال، فقال: إنهم ذكور ، وليسوا إناثاً، فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم، كما أوقع على الجنّ في قوله تعالى: (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ) (الجن : ٦) ، فهؤلاء الملائكة يعرفون المؤمنين بعلاماتهم والكفار بعلاماتهم، فيبشرون المؤمنين قبل دخولهم الجنة وهم لم يدخلوها بعدُ فيطمعون فيها، وإذا رأوا أهل النار دعوا لأنفسهم بالسلامة من العذاب[3].

وروي مثل ذلك عن أبي مسلم قال: إنهم ملائكة، ويرون في صورة الرجال ، لا

تحقيقه لتفسير الطبري.

(١) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٢ برقم ١١٤٠٨.

(٢) انظر الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٤م)، ط١، ج: ١١، ص: ١٩٩، فقد أشار ابن حجر إلى الحديث، ولم يترجم ليحيى بن شبل الذي في سند الحديث – فالرجل مجهول يروي عن مجاهيل، وفي السند عبد الله بن صالح. قال ابن المديني: ضربت على حديث عبد الله بن صالح لا أروي عنه شيئاً، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال صالح جزرة: هو عندي يكذب في الحديث، وقال أبو حاتم: أخرج أحاديث في آخر عمره أنكروها عليه، وقال أحمد بن حنبل: كان أوّل أمره متماسكاً ثمّ فسد بآخره، وساق له ابن حبّان وابن عدي جماعة أحاديث تفرّد بها منكرة، وقال عنه عبد الله بن أحمد: ليس بشيء. انظر: الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج: ٥، ص: ٢٢٨٢٣٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ١٠، ص: ٤١٢٤١٥؛ الذهبي، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، ج: ٤، ص: ١٢١١٢٢؛ الذهبي، ديوان الضعفاء والمتروكين، ج: ٢، ص: ٤٣؛ العقيلي، كتاب الضعفاء الكبير، ج: ٢، ص: ٢٦٧.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢.

أنهم رجال حقيقة، لأنّ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة[1].

وقد أورد الطبري في ذلك العديد من الروايات، منها:

حدّثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا ابن عليّة، عن أبي مجلز قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف:٤٦) قال: هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار، قال: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ (الأعراف:٤٨-٤٩) قال: فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٤٩)[2].

حدّثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا المعتمر قال: سمعت عمران، قال: قلت لأبي مجلز: يقول الله تعالى: "وعلى الأعراف رجال" (الأعراف:٤٦) وتزعم أنت أنهم ملائكة؟ قال: فقال: إنهم ذكور وليسوا إناثا[3].

حدّثنا ابن وكيع قال: ثنا جرير عن سليمان التيمي عن أبي مجلز: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ (الأعراف:٤٦) قال رجال من الملائكة، يعرفون الفريقين جميعاً بسيماهم، أهل النار وأهل الجنة، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة[4].

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٢٦٣.

(٢) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٣ برقم ١١٤١١، وابن كثير في التفسير، ص: ٦٨٢، وللاستزادة انظر: البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ص٤٩٨، أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢؛ الشوكاني، فتح القدير، ص: ٥٨٨؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ أبي السعود، تفسير أبي السعود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ج: ٣، ص: ٢٣٠؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨م)، ط١، ج: ٢، ص: ١٤.

(٣) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٣ برقم ١١٤١٢.

(٤) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٣ برقم ١١٤١٣، وابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٦ برقم ٨٥٠٧

ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن التيمي عن أبي مجلز قال: أصحاب الأعراف الملائكة[1].

والحقّ أنّ القول : بأنّ أهل الأعراف ملائكة باطل، لأنّ نصّ الآية صريح في كونهم رجال، والرجل مختص بالذكر من الناس، ويقال للمرأة المتشبّهة بالرجل: رَجُلَة.

ثم إنّ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وبالتالي فهم لا يتناكحون ولا يتناسلون، فهم ليسوا بحاجة إلى وصفهم بالذكورة ولا بالأنوثة، ولذلك نعى الله تعالى على المشركين الذين كانوا يزعمون أنّ الملائكة إناث ، فقال تعالى:﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ (الصافات: ١٤٩-١٥٦) ، وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ (الزخرف:١٩).

ثم إنّ الروايات التي ساقها الطبري كلها تنسب الكلام لأبي مجلز، واسمه لاحق ابن حميد، وقد ضعّفه يحيى بن معين فقال: مضطرب الحديث[2]، ومع أنّ الجمهور على توثيقه، إلا أنّ كلامه هنا لا دليل ولا برهان عليه، ولا يعرف له وجه، وهو – كما رأينا – مخالف لما هو مقرّر في عقيدتنا بالملائكة: أنهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وبالتالي فهم لا يتناكحون ولا يتناسلون.

ولذلك رأينا الإمام ابن كثير يعلق على الرواية الأولى التي ساقها الطبري، وينبّه إلى غرابتها فيقول: "وهذا صحيح إلى أبي مجلز، لاحق بن حميد، أحد التابعين، وهو

(١) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٣ برقم ١١٤١٤، وللاستزادة انظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ص: ٥٨٨.

(٢) انظر: الكامل في الضعفاء ٤ / ٣٧٢، ترجمة رقم ١٩٨٢.

غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق، وقول الجمهور مقدّم على قوله، بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه"[1].

وعلق الإمام الطبري على الروايات التي ساقها عن أبي مجلز، فقال: "والصّواب من القول في أصحاب الأعراف: أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحّ سنده، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمّة على أنهم ملائكة، فإذا كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياساً وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أنّ الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيّناً أنّ ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له"[2].

وذكر الطبراني في تفسيره أنّ مجاهداً بلغه مقالة أبي مجلز، فقال: كذب أبو مجلز، يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ (الأعراف:٤٦)، فبلغ ذلك أبا مجلز، فقال: هم الملائكة، والملائكة ذكور، وليسوا بإناث، صورهم صور الرجال[3].

الخامس: أنهم الأنبياء عليهم السّلام، أجلسهم الله تعالى على أعالي ذلك السّور تمييزاً لهم عن سائر أهل القيامة، وإظهاراً لشرفهم، وعلوّ مرتبتهم، وأجلسوا في ذلك المكان؛ ليكونوا مشرفين على أهل الجنة وأهل النار؛ ليطلعوا على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم، قاله الزجّاج، وابن الأنباري[4].

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص: ٦٨٢.
(٢) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٨، ص: ٢٥٤.
(٣) الطبراني، تفسير الطبراني، ج: ٣، ص: ١٤٣.
(٤) ذكره ابن عطيّة في تفسيره، ج: ٢، ص: ٤٠٤، والزجّاج في معاني القرآن، ج: ٢، ص: ٣٤٣، وانظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢؛ القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٧؛ الشوكاني، فتح القدير، ص: ٥٨٨؛ القاسمي، محاسن التأويل، ج: ٥، ص: ١٧٩٠؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ الرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص: ٧٢؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص: ٦٨٢؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٥؛ أبي السعود، تفسير أبي السعود، ج: ٣، ص: ٢٣٠؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج: ٢، ص: ١٤؛ الخازن، تفسير الخازن، ج: ٢، ص: ٥١٢.

وهذا القول مجرّد دعوى ورأي تنقصه الحجّة والدليل، ومثل هذا لا يقال فيه بالرأي المجرّد عن البرهان ، ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ (البقرة: ١١١) ، كما أنّ سياق الآيات يردّه، قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٦-٤٩).

فمنطوق الآيات الكريمة يردّ القول : بأنّ أهل الأعراف هم الأنبياء ؛ وذلك للنقاط الآتية:

١ - أنّ القول : بأنّ الأنبياء هم أهل الأعراف فيه نوع إيلام للأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، لما يرون من أهوال النار؛ فرؤية العذاب وأهله تسيء للناظرين، بخلاف النظر للنعيم وأهله، ففيه مسرّة للناظرين، ولذا لم يعبّر في جانبه بالصرف ، بل قال: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[1].

والآية تنصّ على أنّ أبصار أهل الأعراف تُصرَف صرفاً إلى أهل النار ؛ ليروا ما هم فيه من ألوان العذاب ، ولا ينظرون إليهم بمحض إرادتهم.

٢ - أنّ الأنبياء عليهم السلام هم الذين يقودون أُممهم عند دخولهم الجنة، بمعنى أنهم يتقدّمونهم، وقد صحّ في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أوّل من يقرع باب الجنة، ففي صحيح مسلم وغيره مرفوعاً: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أوّل من يقرع)[2]، وفي حديث آخر قال: "آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن:

---

(١) الصاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين، ج: ٢، ص: ٢٦٥.

(٢) أخرجه مسلم ص: ١١٠ برقم ١٩٦، كتاب الإيمان، باب: في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أوّل الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»، وابن أبي شيبة في المصنف، ج: ١١، ص: ٥٠٣ برقم ٣٢٤٤١، والبزار في المسند، ج: ٢، ص: ٣٦١ برقم ٧٤٩١، وأبو يعلى في المسند، ج: ٧، ص: ٤٩ برقم ٣٩٦٤.

من أنت؟ فأقول: محمّد، فيقول: بك أمرت ، لا أفتح لأحد قبلك "[1]، فمن دخلها لا يخرج منها، وهو مخلد فيها أبداً، فكيف والسّور خارج الجنة، ومنطوق النصّ يصرّح بأنهم لم يدخلوها بعد.

قال الإمام ابن القيّم: " ثم إنهم نظروا إلى الجنة، فرأوا من الضعفاء الذين كان الكفار يسترذلونهم في الدنيا، ويزعمون أنّ الله لا يختصّهم دونهم بفضله، كما لم يختصّهم دونهم في الدنيا، فيقول لهم أهل الأعراف :(أَهؤُلاء الذينَ أَقْسَمْتُمْ) أيها المشركون أنّ الله تعالى لا ينالهم برحمة، فها هم في الجنة يتمتعون ويتنعّمون وفي رياضها يحبرون، ثمّ يقال لأهل الأعراف :(أُدْخُلوا الجَنَة لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)، وقيل: إنّ أصحاب الأعراف إذا عيّروا الكفار وأخبروهم أنهم لم يغن عنهم جمعهم واستكبارهم، عيّرهم الكفار بتخلفهم عن الجنة، وأقسموا أنّ الله لا ينالهم برحمة، لما رأوا من تخلفهم عن الجنة، وأنهم يصيرون إلى النار، فتقول لهم الملائكة حينئذ (أَهؤُلاء الذينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُم الله برَحْمَة أُدْخُلوا الجَنَة لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) والقولان قويّان محتملان، والله أعلم "[2].

٣ – الضمير في قوله(وَنَادُوا أَصْحَابَ الجَنَة)عائد على الرجال الذين على الأعراف، وعليه فلا يمكن أن تكون للأنبياء ولا لشيء ممّا فسّر به أنهم على جبل في وسط أو أعلى الجنة[3].

٤ – أنّ القول : بأنّ الله تعالى أجلس أهل الأعراف في ذلك المكان تمييزاً وتشريفاً لهم، فجوابه: أنّ الله تعالى أجلسهم " لا للتشريف ؛ بل لأنهم كالمرتبة المتوسطة بين الجنة والنار"[4]، وعليه فالقول بأنّ أهل الأعراف هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قول لا

---

(١) أخرجه مسلم ص ١١١ برقم ١٩٧، كتاب الإيمان، باب: في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أوّل الناس يشفع بالجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»، وانظر: أحمد بن حنبل، المسند، (الرياض: بيت الأفكار الدولية)، ط ١، ص: ٨٥٣ برقم ١٢٤٢٣؛ عبد بن حميد، المسند، ص: ٣٧٩ برقم ١٢٧١.

(٢) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السّعادتين، ص: ٤١٩ .

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤ .

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٥ .

دليل عليه، ولا تقوم به حجة.

السادس: أنهم قوم كانت لهم صغائرلم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا، وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غمّ، فيقع في مقابلة صغائرهم[1].

وهذا الكلام محض تخرّص، ومجرّد رأي لم نتعرّف على قائله، ولا يعتمد على أصل شرعي، بل يصطدم مع الثوابت الشرعيّة ؛ لأنّ الآلام والأحزان سبيل لتكفير الذنوب، قال عليه الصلاة والسلام: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا همّ ولا حزن ، ولا أذى ولا غمّ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفّر الله بها من خطاياه)[2].

فالمصائب : سبيل لتكفير الذنوب، كما أنّ الصبر عليها سبيل لرضا الله وثوابه العظيم، والمصائب عقوبة من الله تعالى للعبد على ذنبه؛ ليكفر ذنبه بها، كما أنها سبيل للترقي في الدرجات، ثمّ إنّ الاستغفار من الذنب، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين واستغفارهم للأموات، وصلاتهم على الجنائز، وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفوق هذا كله : رحمة الله تعالى وعفوه ومنته: سُبُل عظيمة لتطهير المؤمن من الخطايا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء:٤٨)، وقال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر:٥٣)، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) ذكره القرطبي في التذكرة، ج: ٢، ص: ٣٣٧، وابن عطيّة في التفسير، ج: ٢، ص: ٤٠٤، وتفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢، وحاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣، وروح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦، ولم ينسبوه لأحد.

(٢) أخرجه البخاري ص: ١١٠٩ رقم ٥٦٤١، كتاب المرضى باب: ما جاء في كفارة المرض، مسلم ص: ١٠٣٩ رقم ٢٥٧٣، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه مرض أو حزن، أحمد في المسند ص: ٥٩٧ رقم ٨٤٠٥، الترمذي، جامع الترمذي، (الرياض: بيت الأفكار الدوليّة) ط١، ص: ١٧٥ برقم ٩٦٦، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في ثواب المريض؛ ابن حبّان، صحيح ابن حبان، (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٩٧م)، ط٣،ج: ٧، ص: ١٦٦ رقم ٢٩٠٥؛ مالك بن أنس، الموطأ، (الرياض: بيت الأفكار الدوليّة)، ط١، ص: ٥٦٦ رقم ٣٩٨٩، كتاب المرض، باب: ما جاء في أجر المريض؛ عبد الرزاق في المصنف، ج: ١١، ص: ١٩٧ رقم ٢٠٣١٢.

وعليه: فالقول بأنّ أهل الأعراف هم أصحاب الصغائر التي لم تكفر بالآلام قول بلا حجّة.

السابع: أنهم أولاد الزنا، في رواية عن ابن عبّاس[1]، وهذا قول غريب، لأنّ ابن الزنا إن كان مؤمناً دخل الجنة، ووزر الزنا على الزاني، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام:١٦٤).

قال الإمام ابن تيمية: (وولد الزنا إن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة، وإلا جوزي بعمله كما يجازى غيره، والجزاء على الأعمال، لا على النسب، وإنما يذمّ ولد الزنا لأنه مظنة أن يعمل عملاً خبيثاً، كما يقع كثيراً، كما تحمد الأنساب الفاضلة ؛ لأنها مظنة عمل الخير، فأمّا إذا ظهر العمل فالجزاء عليه، وأكرم الخلق عند الله أتقاهم)[2]، فالقول: بأنّ أهل الأعراف هم أولاد الزنا، لا تقوم به حجّة ؛ لأنه مجرّد ظن، والظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً.

الثامن: أنهم أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة:

قال الطبري: حدّثني المثنى قال: ثنا سويد بن نصر قال: أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحّاك عن ابن عبّاس قال: إنّ أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام، وكان حسم أمرهم لله، فأقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه، قال الله تعالى:﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف:٤٧)، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه، فذلك قوله: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ

(١) انظر: القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٨، وقال: ذكره القشيري أبو نصر عن ابن عبّاس؛ الشوكاني، فتح القدير، ص٥٨٨؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٣، ص: ٢١٢؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص: ٦٨١؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ الطبراني، تفسير الطبراني، ج: ٣، ص: ١٤٣؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦؛ الخازن، تفسير الخازن، ج: ٢، ص: ٥١١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج:٤، ص: ٣١٢، جمع عبد الرحمن بن محمد وولده محمد.

عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (الأعراف:٤٦).

وهذا القول قول ضعيف، والرواية التي ساقها الطبري ضعيفة، وعلتها جويبر ابن سعيد الأزدي – الذي في السند – فقد ضعّفه غير واحد من علماء الجرح والتعديل[١].

التاسع: أنهم فضلاء المؤمنين والشهداء ، فرغوا من شغل أنفسهم وتفرّغوا لمطالعة أحوال الناس[٢].

وهذا مجرّد كلام، لا أصل له، ومثل هذه المسائل لا يقال فيها بالرأي، بل لا بدّ فيها من النقل الصّحيح، وكلام الرجال ليس بحجّة في ديننا.

العاشر: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله مجاهد.

قال الطبري: حدّثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد، قال: أصحاب الأعراف قوم صالحون، فقهاء علماء[٣] .

وهذا القول كسابقه قول ضعيف، وعلته خصيف بن عبد الرحمن – الذي في

---

(١) جاء في ترجمة جويبر بن سعيد الأزدي: قال أحمد بن حنبل: جويبر لا يشتغل بحديثه، وعن ابن معين: ليس بشيء، وهو ضعيف، وضعّفه يحيى بن سعيد القطان. وقال عبد الله بن علي ابن المديني: وسألته يعني أباه– عن جويبر، فضعّفه جداً، قال: وسمعت أبي يقول: جويبر أكثر على الضحّاك، روى عنه أشياء مناكير، وضعّفه الآجرّي، وقال النسائي وعلي بن الحسين بن الجنيد والدارقطني: متروك، وقال أحمد بن عدي: والضّعف على حديثه ورواياته بيّن، انظر: المزي، تهذيب الكمال، ج: ٥، ص: ١٦٩١٧٠.

(٢) ذكره عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري في لطائف الإشارات، ج: ٢، ص: ٢٣٢، وانظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١١؛ الشوكاني، فتح القدير، ص: ٥٨٨؛ القاسمي، محاسن التأويل، ج: ٥، ص: ١٧٩٠؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٦؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٥؛ البغوي، تفسير البغوي، ص:٤٦٥ .

(٣) ذكره الطبري في التفسير، ج: ٨، ص: ٢٥٣ برقم ١١٤١٠، ابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٦ برقم ٨٥٠٦. وانظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١١؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٦؛ الخازن، تفسير الخازن، ج: ٢، ص: ٥١٢؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦.

سنده – فقد كان سيّء الحفظ[1]، وقد نصّ الإمام ابن كثير في تفسيره على غرابة هذه الرواية[2].

الحادي عشر: أنهم مؤمنو الجن:

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن منبه بن عثمان عن عروة ابن رويم عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ مؤمني الجنّ لهم ثواب وعليهم عقاب، فسألناه عن ثوابهم، فقال: على الأعراف، وليسوا في الجنة مع أمّة محمّد صلى الله عليه وسلم، فسألناه: وما الأعراف؟ فقال: حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار"[3].

والحديث منكر، ففي سنده: الوليد بن موسى، الذي قال الدارقطني فيه: منكر الحديث، وقال غيره: متروك له ، أحاديث موضوعة منكرة جداً، وقال الأوزاعي: أحاديثه بواطيل ، لا أصول لها ، ليس ممّن يقيم الحديث[4].

وفي سنده – أيضاً –: شيبة بن عثمان، الذي لم أعثر له على ترجمة، وليس هو شيبة بن عثمان الصّحابي، وفيه: عروة بن رويم، الذي قال أبو حاتم فيه: عامّة حديثه مراسيل، وكذلك قال إبراهيم بن مهدي: عن أبي حاتم: يكتب حديثه، وقد علم

---

(١) جاء في ترجمة خصيف بن عبد الرحمن الحضرمي الأموي الحرّانيّ: قال أحمد بن حنبل: ليس بحجّة، وقال أبو حاتم: سيّء الحفظ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ٦، ص: ١٤٥؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج: ٢، ص: ٤٤٢. وقال يحيى القطان: كنّا نجتنب خصيفاً. وعن أحمد: ضعيف الحديث، ليس بقوي في الحديث، وقال مرّة: ليس بذاك، شديد الاضطراب في المسند، وقال النسائي: ليس بالقوي. انظر: المزي، تهذيب الكمال، ج: ٨، ص: ٢٥٩؛ الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج: ٣، ص: ١٣٠؛ العقيلي، كتاب الضعفاء الكبير، ج: ٢، ص: ٣١، ترجمة رقم ٤٥٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص: ٦٨٢.

(٣) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، (بيروت: دار الفكر)، ج: ٦٣، ص: ٢٩٩؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص ٦٨١؛ البيهقي، البعث، ص١٠٨؛ السيوطي، الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤٢٢.

(٤) انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ج: ٧، ص: ١٤٤؛ لسان الميزان، ج: ٦، ص: ٣٠٢؛ العقيلي، كتاب الضعفاء الكبير، ج: ٤، ص: ٣٢١، ٣٢٢؛ الذهبي، الضعفاء والمتروكين، ج: ٢، ص: ٤٣٥.

بالاستقراء أنّ أبا حاتم الرازي إذا قال في رجل: يكتب حديثه أنه عنده ليس بحجّة[1].

بقي أن نذكر أنّ الجن في التكليف كالإنس سواء، فهم مكلفون كالإنس، ولا دليل يفاضل بين جزاء الإنس وجزاء الجن، وعليه، فالقول بأنّ أهل الأعراف هم مؤمنو الجن، مجرّد قول مبني على الظنّ والتخرّص، فلا تقوم به حجّة.

الثاني عشر: هم: العبّاس وحمزة، وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين رضي الله عنهم، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه، ذكره الثعلبي عن ابن عبّاس[2].

ومن هذا الكلام تشمّ فيه رائحة التشيّع، ويغلب على الظنّ أنّ قائله شيعي، نسبه ظلماً وزوراً لترجمان القرآن، ومقصوده من قوله: بيض الوجوه أي الشيعة، ويقصد بسود الوجوه: من سواهم، ويبقى القول مجرّد كلام ينقصه الدليل، ولا دليل.

الثالث عشر: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كل أمّة، ذكره الزهراوي واختاره النحّاس، وقال: وهو من أحسن ما قيل فيه[3].

وهذا الكلام كسابقه، يعوزه الدليل الناهض، وهو مجرّد قول لعالم،فسقط

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ٦، ص: ١٣٨، و ج: ٦، ص: ٣٦٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج: ٢٠، ص: ٩١٠.

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٧، وقال: ذكره الثعلبي عن ابن عباس. قلت: ولم أجده عند الثعلبي. وللإستزادة انظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص:٧٣٧؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ص٥٨٨؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦.

(٣) انظر: ابن عطية، تفسير ابن عطيّة، ج: ٢، ص: ٤٠٤. وللإستزادة انظر: القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٧؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٢؛ الصاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين، ج: ٢، ص: ٢٦٤؛ الشوكاني، فتح القدير، ص: ٥٨٨؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٤٣؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦.

الاحتجاج به[1]

الرابع عشر: هم قوم كان عليهم دَيْن، قاله مسلم بن يسار.

قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، ثنا محمود بن خالد بن هشام بن عمار قال: أنبَأ الوليد، ثنا سعيد، عن قتادة، عن مسلم بن يسار قال: هم قوم كان عليهم دين[2].

قلت: وكأنّ مسلم بن يسار أخذ هذا القول من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نفس المؤمن معلقة، ما كان عليه ديْن)[3]، والحديث يدلّ على أنّ الميّت يبقى مشغولاً بديْنه بعد موته، وفيه الدعوة للتخلص من الديون قبل دنوّ الأجل، لأنه حقّ متعلق بالآدميين.

وقد نصّ العلماء على أنّ هذا مقيّد بمن له مال يقضي منه دينه وقصّر في ذلك، قال صاحب تحفة الأحوذي في تعليقه على الحديث السابق: (وهذا مقيّد بمن له مال يقضي منه ديْنه،وأمّا من لا مال له ومات عازماً على القضاء، فقد ورد في الأحاديث ما يدلّ على أنّ الله تعالى يقضي عنه، بل ثبت أنّ مجرّد محبّة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي الله سبحانه لقضاء دَيْنه، وإن كان له مال ولم يقض منه الورثة، فقد أخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً (من دان بديْن في نفسه وفاؤه ومات، تجاوز الله عنه وأرضى

---

(١) انظر في الرد على هذا القول: ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين، ص: ٤١٩.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٦ برقم ٨٥٠٤، والسيوطي في الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤٢٢، وذكره الألوسي في روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ص: ٦٧٤ برقم ٩٦٧٧، والترمذي ص: ١٩١ برقم ١٠٧٩، كتاب الجنائز، باب: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: نفس المؤمن معلقة بدَيْنه حتى يُقضى عنه. وانظر كذلك ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (الرياض: بيت الأفكار الدوليّة)، ط ١، ص: ٢٦٠ برقم ٢٤١٣، كتاب الصدقات، باب: التشديد في الدّيْن؛ الدارمي، سنن الدارمي، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦م)، ط ١، ج: ٢، ص: ٢١٠ برقم ٢٥٩١، كتاب البيوع، باب: ما جاء في التشديد في الدّيْن؛ ابن حبّان، الصحيح، ج: ٧، ص: ٣٣١ برقم ٣٠٦١؛ وكذلك أخرجه الطيالسي ص: ٣١٥ برقم ٢٣٩٠، وأبو يعلى، ج: ١٠، ص: ٤١٦ برقم ٦٠٢٦، وابن عدي، ج: ٥، ص: ٤١، والطبراني في الصغير ج: ٢، ص: ٢٦٧ برقم ١١٤٤، والبيهقي في الكبرى، ج: ٤، ص: ٦١ برقم ٦٨٩٢، وشعب الإيمان، ج: ٥، ص: ١٩٣٩ برقم ٥٥٤٤.

غريمه بما شاء، ومن دان بديْن وليس في نفسه وفاؤه ومات اقتصّ الله لغريمه منه يوم القيامة) [1]، وأخرجه الحاكم بلفظ: (من تداين بديْن وفي نفسه وفاؤه، ثمّ مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء)[2].

وقد ورد أيضاً ما يدلّ على أنّ من مات من المسلمين مديوناً فدَيْنُهُ على من إليه ولاية أمور المسلمين يقضيه عنه من بيت مالهم، فقد جاء في الحديث: (من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ ، وأنا أولى بالمؤمنين)[3]، (وفي معنى ذلك عن أحاديث ثبتت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قالها بعد أن كان يمتنع من الصّلاة على المديون، فلمّا فتح الله عليه البلاد وكثرت الأموال صلى على من مات مديوناً وقضى عنه، وذلك مشعر بأنّ من مات مديوناً إستحقّ أن يقضى عنه دينه من بيت مال المسلمين، وهو أحد المصارف الثمانية فلا يسقط حقه بالموت)[4].

فممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ القول : بأن أهل الأعراف هم من ماتوا وعليهم ديْن قول ضعيف، والله أعلم.

الخامس عشر: أنهم فقراء أهل الجنة، قاله عبد الله بن الحارث.

قال ابن أبي حاتم: حدّثنا محمّد بن عمّار، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد،

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، ج: ٨، ص: ٢٤٠ برقم ٧٩٣٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج: ٢، ص: ٢٨ برقم ٢٢٠٦.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ج: ٨، ص: ٢٩١ برقم ١٥٢٦٢، وأحمد في المسند ص: ٩٨٢ برقم ١٤٣٨٦، ومسلم ص: ٣٣٥ برقم ٨٦٧، كتاب الجمع، باب: تخفيف الصّلاة والخطبة، وابن ماجه ص:٢٢ برقم ٤٥، كتاب المقدّمة، باب: اجتناب البدع والجدل. وانظر: النسائي، المجتبى، (الرياض: بيت الأفكار الدوليّة)، ط ١، ص: ١٨٦ برقم ١٥٧٨، كتاب صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة؛ أبو داود، السنن، (الرياض: بيت الأفكار الدوليّة)، ط ١، ص٣٣٤ برقم ٢٩٥٤، كتاب الخراج، باب: في أرزاق الذرّيّة؛ البيهقي، الكبرى، ج: ٣، ص: ٢١٣ برقم ٥٥٨٩؛ الترمذي، السنن، ص: ٣٤٧ برقم ٢٠٩٠، كتاب الفرائض، باب: ما جاء من ترك مالاً فلورثته، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وغيرهم.

(٤) تحفة الأحوذي، ج: ٤، ص: ١٦٤١٦٥، وانظر: النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، (بيروت: مؤسّسة مناهل العرفان)، ج: ٧، ص: ٤٧.

أنبأ أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: (أصحاب الأعراف يُنتهى بهم إلى نهر يقال له الحياة، حافتاه قصب الذهب، أراه قال: مكلل باللؤلؤ، فيغتسلون منه اغتسالة، فيبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثمّ يعودون فيغتسلون، كلما اغتسلوا ازدادت بياضاً، فقال لهم: تمنوا، فيتمنون ما شاؤوا، قال: فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعين ضعفاً)[1].

وهذا القول هو للتابعي عبد الله بن الحارث المتوفى سنة(٨٣ هـ) وهو كلام غريب، فلم يرد في دواوين السنة الصّحيحة طائفة تسمّى بفقراء الجنة، فالجنة هي بيت الكرم والخلود، بل إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر في أكثر من حديث أنّ الفقراء يسبقون الأغنياء في دخول الجنة، منها:

١- (فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً)[2].

٢- (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً)[3].

٣- (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام)[4].

وللتوفيق بين هذه الأحاديث، يقول الإمام ابن القيّم: (والذي في الصّحيح أنّ

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٦ برقم ٨٥٠٣.

(٢) أخرجه مسلم ص: ١١٩٤ برقم ٢٩٧٩، كتاب الزهد والرقائق، والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ص: ٩٩٣ برقم ١٤٥٣٠، والترمذي ص: ٣٨٧ برقم ٢٣٥٥، كتاب الزهد، باب: ما جاء أنّ فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وقال: هذا حديث حسن، قلت: والترمذي عندما يقول بأن الحديث حسن أي صحيح، والطبراني في الكبير، ج: ١٢، ص: ٣١٥ برقم ١٣٢٢٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ج: ٧، ص: ٣٣٥٨ برقم ١٠٣٨١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ص: ٦٠٣ برقم ٨٥٠٢، والترمذي ص: ٣٨٧ برقم ٢٣٥٤، كتاب الزهد، باب: ما جاء أنّ فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه ص: ٤٤٦ برقم ٤١٢٢، كتاب الزهد، باب: منزلة الفقراء، والنسائي في الكبرى، ج: ٦، ص: ٤١٢ برقم ١١٣٤٨، وأبو يعلى في المسند، ج: ١٠، ص: ٤١١ برقم ٦٠١٨. وانظر: الطبراني، الأوسط، (عمّان: دار الفكر، ١٩٩٩م)، ط١، ج: ١، ص:٣٧ برقم ٨٤.

سبقهم لهم بأربعين خريفاً: فإمّا أن يكون هو المحفوظ، وإما أنّ كليهما محفوظ، وتختلف مدّة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم : من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة)[1].

وعليه، فالقول يبقى قولاً لتابعي، وأقوال التابعين ليست حجّة في ديننا.

السادس عشر: أنهم الشهداء، ذكره المهدوي والقشيري وشرحبيل بن سعد[2].

وهذا كلام مستغرب؛ لأنّ الشهداء من أوائل من يدخل الجنة، فقد جاء في السنة المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم: (عُرض عليّ أوّل ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف ومتعفف،وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه)[3].

ومن المعلوم : أنّ للشهداء فضائل ومنازل يغبطون عليها، كيف لا! والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩)، ونطقت السنّة المطهّرة بثواب الشهداء، وما أعدّه الله لهم من خيرات ونَهر ومقعد صدق عند مليك مقتدر، لدرجة أنه: (ما من عبد يموت، له عند الله خير، يسرّه أن يرجع إلى الدنيا، وأنّ له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة،

---

(١) ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٣م)، ط ١، ص: ٩٢.

(٢) انظر: ابن عطية، تفسير ابن عطيّة، ج: ٢، ص: ٤٠٤؛ الرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص: ٧٢؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١١؛ الشوكاني، فتح القدير، ص: ٥٨٨؛ القاسمي، محاسن التأويل، ج: ٥، ص: ١٧٩٠؛ الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٣، ص: ٢٣؛ القرطبي، التذكرة، ج: ٢، ص: ٧٣٦؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص:٢١٥؛ أبي السعود، تفسير أبي السعود، ج: ٣، ص: ٢٣٠؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج: ٢، ص:١٤.

(٣) أخرجه الترمذي ص: ٢٨٥ برقم ١٦٤٢، كتاب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في ثواب الشهيد، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد في المسند ص: ٦٦٢ برقم ٩٤٨٨، وابن أبي شيبة في المصنف، ج:٧، ص: ٢٦٨ برقم ٣٥٩٦٩، والحاكم في المستدرك، ج: ١، ص: ٥٤٤ برقم ١٤٢٩، وصحّحه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الكبرى، ج: ٤، ص:٨٢ برقم ٧٠١٩، والطيالسي في المسند ص: ٣٣٤ برقم ٢٥٦٧، وابن حبّان في الصحيح، ج: ١٦، ص: ٢٣٣ برقم ٧٢٤٨، والبيهقي في الشعب، ج: ٦، ص: ٢٨٨٤ برقم ٨٦١٠.

فإنه يسرّه أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل مرّة أخرى)[1].

وعليه ، فلا يصح القول بأنّ أهل الأعراف هم الشهداء.

السابع عشر: أنهم أقوام كانوا في الأسر ولم يبدّلوا دينهم:[2]

وهذا الكلام أعجب من سابقه، فإنّ الأسير إذا خاف آسره جاز له أن يأخذ بالتقية، كما حصل مع سيّدنا عمّار، حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجد قلبك، قال: مطمئن بالإيمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عادوا فَعُدْ "[3]، فكيف يكون بدرجة أهل الأعراف الذين يتأخرون في دخول الجنة من خرج غازياً في سبيل الله ووقع في الأسر لظرف حصل معه، فأخذ بالعزيمة ولم يبدّل دينه، برغم ما حصل له من التعذيب كي يبدّل دينه، وبقي ثابتاً ولم ينطق أو يعمل ما من شأنه أن ينقض دينه؟

ثمّ إنّ هذا الكلام ليس له مستند شرعي من دليل معتبر، بل ولم أعثر على قائله.

الثامن عشر: أنهم أولاد المشركين الذين ماتوا صغاراً :[4]

---

(١) أخرجه البخاري ص: ٥٤٠ برقم ٢٧٩٥، كتاب الجهاد والسير، باب: الحور العين وصفتهن، ومسلم ص: ٧٨٣ برقم ١٨٧٧، كتاب الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، والترمذي ص: ٢٨٨ برقم ١٦٦١، كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، وغيرهم.

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤، ولم ينسبه لأحد.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج: ٢، ص: ٣٨٩ برقم ٣٣٦٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الكبرى، ج: ٨، ص: ٢٠٨ برقم ١٦٦٧٣.

(٤) انظر: الصاوي، حاشية الصاوي على الجلالين، ج: ٢، ص: ٢٦٤؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤؛ الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (دار الكنوز الأدبيّة)، ج: ٨، ص: ٤٣٥؛ ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين، ص: ٤٣٢؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦؛ الشربيني، تفسير الشربيني، ج: ١، ص: ٥٥٠؛ البغوي، تفسير البغوي، ص: ٤٦٥؛ الخازن، تفسير الخازن، ج: ٢، ص: ٥١١ ولم ينسبوه لأحد.

وهذا الكلام – كذلك – لا مستند له من الشرع، ثمّ إنّ أولاد المشركين الذين ماتوا قبل سنّ البلوغ ليسوا مكلفين، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، وقد أوضح الإمام الألوسي أنّ الآية (أفادت أن لا تعذيب قبل التكليف، ولا يتوجّه على المولود تكليف، ويلزمه قول الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يبلغ)[١].

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنّ من مات من أطفال المشركين قبل سنّ البلوغ فهو في الجنة.

وعقد البخاري في صحيحه باباً سمّاه (باب ما قيل في أولاد المشركين) ضمن كتاب الجنائز[٢]، حيث يقول الحافظ ابن حجر فيه: (هذه الترجمة تشعر أيضاً بأنه كان متوقفاً في ذلك، وقد جزم بعد هذا في تفسير سورة الروم)[٣]، وهذا يدلّ على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة سوف يأتي تحريره، وقد رتب أيضاً أحاديث هذا الباب ترتيباً يشير إلى المذهب المختار، فإنه صدّره بالحديث الدال على التوقف، ثمّ ثنّى بالحديث المرجّح لكونهم في الجنة، ثمّ ثلث بالحديث المصرّح في ذلك، فإن قوله في سياقه: (وأمّا الصبيان حوله فأولاد الناس)[٤]، قد أخرجه بالتعبير بلفظ: (وأمّا الولدان الذين حوله فكلّ مولود يولد على الفطرة، فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين؟ فقال: وأولاد المشركين)[٥].

وقال الإمام النووي: (وأمّا أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب... والثالث: وهو

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ج: ٨، ص: ٣٥، وانظر: ابن عطية، تفسير ابن عطيّة، ج: ٣، ص: ٤٤٤؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ١٠، ص: ٢٣١؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٦، ص: ١٥؛ الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (بيروت: دار الكتب العلميّة،١٩٩٥م)، ط١، ج: ١، ص: ٤٨٤.

(٢) انظر: البخاري، صحيح البخاري، ص: ٢٦٨، كتاب الجنائز، باب رقم ٩٣.

(٣) انظر: البخاري، صحيح البخاري، ص: ٩٣١، كتاب التفسير، باب ٣٠ (تفسير سورة الروم). وانظر كلام ابن حجر عليه في فتح الباري، ج: ٨، ص: ٥١٢٥١٣، (دار الفكر، بيروت).

(٤) أخرجه البخاري ص: ٢٦٩ برقم ١٣٨٦، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم ص: ٩٣٤ برقم ٢٢٧٥، كتاب الرؤيا، باب: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) أخرجه البخاري ص: ١٣٤٨ برقم ٧٠٤٧، كتاب التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

الصّحيح الذي ذهب إليه المحققون: أنهم في الجنة)[1]، وقال الإمام ابن حزم: (وذهب جمهور الناس إلى أنهم في الجنة ، وبه نقول)[2]، وقال الإمام القرطبي: (ذهب إلى هذا جماعة من العلماء، وهو أصحّ شيء في الباب، قالوا: أولاد المشركين إذا ماتوا صغاراً في الجنة)[3].

والأدلة التي يستدلّ بها على نجاة أطفال المشركين كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٠)، وقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١) .

فالآيات الكريمة تشير إلى أنّ الإنسان سيحاسب على عمله: إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، وغير البالغ لا عمل له يحاسب عليه، لأنّ القلم مرفوع عنه حتى يبلغ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل"[4].

والأدلة على ذلك كثيرة، فإذا كان أطفال المشركين من الناجين، فلماذا يُوقفون على سور الجنة ولا يدخلوها مع الداخلين؟ ويبقى رأياً غير ملزم، ولا قاطع للفهم، بل

---

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج: ١٦، ص: ٢٠٧٢٠٨.

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦م) ط ١، ج: ٢، ص: ٣٨٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٤، ص: ٣٠؛ القرطبي، التذكرة، ج: ٣، ص: ١٠٤٢. وللاستزادة انظر: الألوسي، روح المعاني، ج: ٨، ص: ٣٦؛ ابن حجر، فتح الباري، ج: ٣، ص: ٢٤٧؛ تقي الدين السبكي، كل مولود يولد على الفطرة، (طنطا: دار الصّحابة للتراث)، ص: ٢٢.

(٤) أخرجه أحمد ص: ١٨٣٦ برقم ٢٥٢٠١، وأبو داود ص: ٤٨١ برقم ٤٣٩٨، كتاب السعود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حداً، وابن ماجه ص: ٢٢١ برقم ٢٠٤١، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير، والنسائي ص: ٣٦٢ برقم ٣٤٣٢، كتاب الطلاق، باب: من لا يقع طلاقه من الأزواج، والحاكم في المستدرك، ج: ١، ص: ٢٨٩ برقم ٩٤٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن حبّان في صحيحه، ج: ١، ص: ٣٥٥ برقم ١٤١، وصحّحه الشيخ الأرناؤوط على شرط مسلم في تخريجه لصحيح ابن حبّان، وقال: إسناد جيد.

لكل متسع فيما يرى، والله أعلم.

التاسع عشر: أنهم قوم برّوا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس، أو هم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم أو أمهاتهم دون آبائهم[1]؛ فعقوق الوالدين أو أحدهما كبيرة من الكبائر، وصفة من أقبح الصفات التي توجب النار، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء:٢٣)، وفي الصّحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عدّ الكبائر فذكر: (الشرك بالله وعقوق الوالدين)[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله حرّم عليكم عقوق الأمهات)[3].

لكن السؤال: هل العاقون هم أهل الأعراف؟ والجواب: لا دليل على ذلك، مع أنني لم أتبيّن قائله، وأيّاً ما كان القائل فيبقى القول كلاماً لا دليل عليه، فسقط الاحتجاج به.

العشرون: أنهم علماء شكوا في أرزاقهم:[4]

من المقررات في عقيدتنا: أنه لا رازق إلا الله، والرزّاق اسم من أسمائه تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ (الذاريات:٥٨)، والرزّاق اسم يدل على وصف الرزق المقارن للخلق في التقدير الأزلي، والله تعالى كتب رزق الإنسان وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه.

والرزق إذا سبق تقديره لم يغنِ التعنّي في طلبه، وإنما شرع الاكتساب من جملة

---

(١) انظر: الجمل، حاشية الجمل على الجلالين، ج٣، ص٤٣؛ الصاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين، ج٢، ص٢٦٤؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٣٠٤؛ الطبراني، تفسير الطبراني، ج٣، ص١٤٣؛ البروسوي، روح البيان، ج٣، ص٢١٦؛ البغوي، تفسير البغوي، ص٤٦٥؛ الخازن، تفسير الخازن، ج٢، ص٥١١، ولم ينسبوه لأحد.

(٢) أخرجه البخاري ص: ٥٠٣ برقم ٢٦٥٤، كتاب الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، وأخرجه مسلم ص: ٦٣ برقم ٨٧، كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرهن.

(٣) أخرجه البخاري ص: ١١٥٩ برقم ٥٩٧٥، كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، وأخرجه مسلم ص: ٢٣٥ برقم ٥٩٣، كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة.

(٤) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤، ولم ينسبه الحافظ أبو حيّان لأحد.

الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا؛ ولذلك كان الأمر باتخاذ أسباب الرزق من تجارة وغيرها.

كما أنّ الله تعالى قرن الرزق بالإيمان، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦)، وطالبنا بابتغاء الرزق عنده وحده سبحانه فقال: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ (العنكبوت:١٧)، فرزق الخلائق عليه تعالى وحده، ولذلك يجب عليهم أن لا يعتمدوا في الرزق إلا عليه، والشكّ في ذلك سبيل للكفر والخروج من ربقة الإيمان.

ولذلك فمن العجيب: اعتبار من شكّ في ذلك هم أصحاب الأعراف، إذ الإيمان يقتضي اليقين بصفات الله جميعها، فالقول بأنّ أصحاب الأعراف هم من شكوا في أرزاقهم قول ساقط بعيد عن جوهر الإيمان.

الحادي والعشرون: أنهم أهل الفترة:[1]

قال أهل اللغة[2]: الفتور: سكون بعد حدّة، ولين بعد شدّة، وضعف بعد قوّة، وفتر الماء: سكن حرّه فهو فاتر وفاتور، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (المائدة:١٩)، والفتره: هي المدّة ما بين كل نبيين، وفي البخاري عن سلمان الفارسي قال: "فترة بين عيسى ومحمّد صلى الله عليهما ستمائة سنة"[3].

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣؛ البروسوي، روح البيان، ج: ٣، ص: ٢١٦؛ الشربيني، تفسير الشربيني، ج: ١، ص: ٥٥٠؛ البغوي، تفسير البغوي، ص: ٤٦٥؛ الخازن، تفسير الخازن، ج: ٢، ص: ٥١١، ولم ينسبوه لأحد.

(٢) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج: ١٤، ص: ١٩٣١٩٤، مادة: فتر؛ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (بيروت: دار الفكر)، ص: ٣٨٤٣٨٥؛ الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، (بيروت: المكتبة العلمية)، ج: ٤، ص: ١٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ص: ٧٥٠ برقم ٣٩٤٨، كتاب مناقب الأنصار، باب: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه.

فأهل الفترة هم من عاشوا في أمّة أو زمن لم يبعث الله تعالى فيه نبياً من أنبيائه.

وقد تباينت أقوال أهل العلم في مصيرهم، وما ترجّح لديّ في هذه المسألة: أنهم ناجون فضلاً منه تعالى وكرماً، لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، لأنّ وصول الدعوة شرط من شروط التكليف، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥)، ووجه الدلالة من الآية: أنّ الله تعالى نفى حصول العذاب إلا بعد إرسال الرسل، الذين هم حجّة الله تعالى على خلقه، وأهل الفترة لم يرسل إليهم رسول، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٣١)، إلا من أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم في صحيح الحديث بأنهم من أهل النار.

ومن المعلوم: أنّ العرب الذين أرسل إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأتهم رسول قبله لقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٤٦)، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ (سبأ: ٤٤)، "فالمراد نفي إرسال نذير يختصّ بهؤلاء ويشافههم"[1].

وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، لأنّ هذا عموم خصّصته الآيات السابقة، قال القرطبي: "قال ابن جريج: إلا العرب"[2]، فأهل الفترة ليسوا مكلفين، وبالتالي فهم ناجون، والله أعلم.

فالقول بأنّ أهل الفترة هم أصحاب الأعراف قول لا يستند لدليل شرعي معتبر، وإنما هو ظنّ وتخرّص، والظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً.

الثاني والعشرون: أنهم قوم كان فيهم عجب، قاله الحسن.

قال ابن أبي حاتم: ثنا أبي، ثنا هشام بن عمّار، ثنا الوليد، أخبرني سعيد، عن قتادة، عن الحسن: "أصحاب الأعراف قوم كان فيهم عجب"، وسنده حسن إلى

(١) الألوسي، روح المعاني، ج: ١١، ص: ٣٢٧.
(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ١٤، ص: ٣٤٠.

الحسن البصري [1].

والعجب هو: "استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم"[2]، وإنّ من العَجَب: أن يكون أهل الأعراف هم من كان فيهم عُجُب، لأنّ العُجب خلق ذميم ممقوت، ولذلك جاءت الآيات والأحاديث والآثار تنهى عنه وعن الكبر، لأنه يورث التطاول على الناس والترفع عليهم، فالمعجب بنفسه يرى من دونه مهما كانوا أوضع منه، والمعجبون بأنفسهم رضعوا من ثدي الكبر الذي من شأنه أن يثمر الزهو والتطاول على الخلق، قال تعالى في ذم الكبر: "إنّه لا يحبّ المستكبرين" (النحل:٢٣)، وقال: "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّر جبّار"(غافر:٣٥) وفي الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحدة منهما قذفته في النار"[3]، وقال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من كبْر"[4].

وقد ذكر العلماء جملة من أسباب العجب، منها[5]: العجب بجمال الخلقة حيث

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في التفسير، ج: ٥، ص: ١٤٨٦ برقم ٨٥٠٨، والسيوطي في الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤٢٢، والألوسي في روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣. قلت: هذا إسناد حسن، رجاله ثقات، إلا أن فيه هشام بن عمار، قال فيه الحافظ ابن حجر: إنه صدوق مقرئ، كبر فصار يتلقن، انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١ ص٥٧٣، وفيه أيضاً سعيد بن عبد العزيز، قال فيه ابن حجر: ثقة اختلط، وفيه الوليد بن مسلم الدمشقي، قال فيه: ثقة لكنه كثير التدليس في التفسير، إلا أنه صرح بالسماع من شيخه سعيد فانتفت تهمة التدليس، انظر ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١ ص٢٣٨ و ص٥٨٤، وبذلك يكون سنده حسن، والله أعلم.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢م)، ط ١، ج: ٣، ص: ٣٧١.

(٣) أخرجه مسلم ص: ١٠٥٣ برقم ٢٦٢٠، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب: تحريم الكبر، أحمد في المسند ص: ٥٣٠ برقم ٧٣٧٦، وأبو داود ص: ٤٤٧ برقم ٤٠٩٠، كتاب اللباس، باب: من جاء في الكبر، وابن ماجه ص: ٤٥١ برقم ٧١٧٤، كتاب الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، وابن حبّان في الصحيح، ج: ٢، ص: ٣٥ برقم ٣٢٨، والحاكم في المستدرك، ج: ١، ص: ١٢٩ برقم ٢٠٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه بهذا اللفظ، إنما أخرجه مسلم من طريق الأغرّ عن أبي هريرة بغير هذا اللفظ، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان، ج: ٦، ص: ٢٧٧٣ برقم ٨١٥٨، والبزار في المسند، ج: ٢، ص: ١٩٤ برقم ٥١٠٦، والحميدي في المسند، ج: ٢، ص: ٤٨٦ برقم ١١٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ص: ٦٤ برقم ٩١، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه.

(٥) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج: ٣، ص: ٣٧٤٣٧٨، باختصار وتصرّف.

يلتفت الإنسان إلى جمال خلقته وينسى أنّ الجمال والحسن نعمة من الله، ومنها: البطش والقوّة والعظمة، والعجب بالعقل والكياسة والفطنة، والعجب بالمنصب والنسب والرتبة وكثرة الأموال والأولاد، والعجب بالرأي وإن كان خاطئاً، كما قال تعالى: " أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً " (فاطر:٨) وغيرها.

فالعجب خُلق ممقوت، وقد توعّد الله تعالى أصحابه بالعذاب الأليم، فلا بدّ من دخولهم النار أمداً لا يعلمه إلا الله تعالى ثمّ يخرجون إن ماتوا على التوحيد، وهذا يسقط القول بأنّ من كان فيهم عجب هم أصحاب الأعراف، وعلى كل يبقى الأمر قولا لتابعي، وأقوال التابعين ليست حجّة.

الثالث والعشرون: أنهم الفسّاق من أهل الصلاة[١].

والفاسق هو العاصي، وغالباً ما يطلق على كثير المعاصي، قال الإمام الأصفهاني: " والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق: لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه "[٢].

وكثير المعاصي إن لم يتب منها لا شك أنّ سيئاته تطغى على حسناته، وترجح عليه، وبالتالي لا تتساوى معها، ويسمّى الإنسان عندها بالمسرف على نفسه بالمعاصي والآثام، فالقول بأنّ الفسّاق هم أصحاب الأعراف قول لا دليل عليه، والأدلة تردّه، وهو قريب من القول الثامن.

الرابع والعشرون: أنهم قوم عملوا لله، لكنهم أدخلوا الرياء في عملهم[٣].

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره، ج: ١٤، ص: ٧٤، ولم ينسبه لأحد.

(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٣٩٤؛ وانظر: الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ج: ٤، ص: ١٩٢١٩٣.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ص: ٤٩٨، وقال: ذكره بعض العلماء.

من المعلوم : أنّ الرياء خلق مذموم ممقوت، توعّد الله أصحابه بالويل والثبور وعظائم الأمور، قال تعالى: "فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ "(الماعون:٤٦).

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الرياء بالشرك الأصغر؛ لأنّ المرائي عظم في قلبه الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جُزي الناس بأعمالهم: إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"[1].

وقال: "يا أيها الناس، إيّاكم وشرك السرائر، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيزيّن صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر"[2].

وأصل الرياء: طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير، وحدّه: إرادة العباد بطاعة الله، وقد يكون الرياء في القول والعمل والزي والهيئة والمأكل والمشرب وغير ذلك، والرّياء في العمل سبيل لإبطال العبادات؛ لأنّ الأعمال بالنيّات، والمُرائي لا يقصد بعمله وجه الله، وإنما يقصد بعمله ما عند الناس، بل قد يصل الرّياء بالعمل إلى الكفر الجلي، كما لو عظم غير الله بالسجود[3].

فالرياء سبيل لإحباط الأعمال، لأنها فاقدة لشرط قبولها وهو الإخلاص، وقد

---

(١) أخرجه أحمد ص: ١٧٤١ برقم ٢٤٠٣٠، والبيهقي في شعب الإيمان، ج: ٥، ص: ٢٣٢٦ برقم ٦٨٣١، والطبراني في الكبير، ج: ٤، ص: ٤٣٠١، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ج: ١، ص: ٣٤ أن إسناده جيد، وقال الهيثمي في المجمع، ج: ١، ص: ١٣٤ أن رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ج: ٣٠، ص: ١١٧٨ برقم ٣١٤١، وابن أبي شيبة في مصنفه، ج: ٢، ص: ٢٢٧ برقم ٨٤٠٣، والبيهقي في الكبرى، ج: ٢، ص: ٢٩٠ برقم ٣٤٠٠. وانظر: ابن خزيمه، الصحيح، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٢م)، ط٢، ج: ٢، ص: ٦٧ برقم ٩٣٧.

(٣) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج: ٣، ص: ٢٩٣٣١٧، باختصار.

قال الله تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(هود:١٥ ١٦).

فالمرائي بأعماله، تصبح أعماله هباء منثوراً، فلا وزن لأعماله، ولا حسنات تقيه عذاب ربّه يوم القيامة، فهو من الهالكين، وكيف يكون المرائي من أصحاب الأعراف؟ وكيف يستحقّ المرائي رحمة الله سبحانه وهو المشرك بالله شركاً أصغر حبط عمله بسببه ؟ فالقول ليس له سند صحيح أو حسن يتقوّى به، فلا حجّة تقوم به، مع العلم أنّه غير مسند وقائله لم نتبيّنه، بل لم ينسب لأحد.

وبعد هذا الاستعراض لأقوال العلماء في تعيين أصحاب الأعراف أقول:

إنّ أغلب العلماء ذهبوا إلى أنّ الراجح من الأقوال السابقة إنما هو القول بأنّ أصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهو القول الذي رجّحه العديد من العلماء.

قال الطبري: " والصّواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحّ سنده، ولا آية متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمّة على أنهم ملائكة، فإذا كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أنّ الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيّناً أنّ ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له، وأنّ الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره[1]، هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار وإن كان في أسانيدها ما فيها "[2].

(١) يعني أنّ أصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.
(٢) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٨، ص: ٢٥٤.

وقال ابن كثير: "واختلفت عبارات المفسّرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلى قول واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نصّ عليه حذيفة، وابن عبّاس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف "[1].

وقال البيهقي: "وذهب بعضهم إلى ترجيح القول بأنّ أهلّ الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة"[2].

وقال الألوسي: "وأرجح الأقوال كما قال القرطبي – الأوّل[3]، وجمع بعضهم بينها بأنه يجوز أن يجلس الجميع ممّن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف هناك مع تفاوت مراتبهم، على أنّ من هذه الأقوال ما لا يخفى تداخله"[4]، وقال الإمام أبو حيّان: "والأقوال السابقة تحتاج إلى دليل واضح في التخصيص، والجيّد منها هو الأوّل، لحديث جابر ولتفسير جماعة من الصّحابة "[5].

وهنالك علماء كثيرون ذهبوا إلى ترجيح هذا القول.

ومع ميلنا لهذا القول إلا أنه لا يفيد القطع، وأحسن ما يقال في هذه المسألة: إنّ هذا ممّا تنقص عنه فهوم البشر، والذي يلزمنا نحوه إنما هو التصديق والامتثال وتفويض العلم به إلى الله تعالى.

المبحث الثالث : مصير أصحاب الأعراف

ذكرنا في المبحث الثاني أنّ العلماء اختلفوا في تعيين أصحاب الأعراف اختلافاً

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص: ٦٨٠.
(٢) البيهقي، البعث والنشور، (بيروت: مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ١٩٨٨م)، ط ١، ص: ٨١٨٧، باب: ما جاء في أصحاب الأعراف.
(٣) أي هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.
(٤) الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٣.
(٥) أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٤.

كثيراً، وأنّ أرجى الأقوال فيهم وأقربها للحق: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، لكن لا يقطع بذلك، وأنهم سيقومون على الأعراف زماناً لا يعلم مدّته غير الله تعالى، ثمّ يؤمر بهم إلى الجنة بمحض الفضل والمنة ، لا بسبب الاستحقاق، فهذا هو مصيرهم ، نقله غير واحد من علماء التفسير وعلماء الحديث ، منهم: الإمام البيهقي ، وابن كثير والألوسي ، والزمخشري ، وغيرهم .

قال الإمام البيهقي: " وأمر أصحاب الأعراف على الأصل الذي قدّمنا ذكره، وهو أنّ من وافى القيامة مؤمناً، ولسيئاته وزن في ميزانه، وهو بين أن يغفر له من غير تعذيب وبين أن يعذب بقدر ذنوبه، ثمّ يغفر له، فقد يكون منهم من لا يدخل الجنة في الحال، ولا يدخل النار، ولكن يُحبس على الأعراف وهو السور، أو قال مقاتل: على الصّراط ؛ فإذا أراد الله دخولهم الجنة أمرهم بدخولها برحمته أو بشفاعة الشفعاء، والله أعلم "[1].

وفي تفسير قول الله تعالى:"وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا...الآية "(الأعراف:٤٨-٤٩)، ذكر العلماء أنّ الله تعالى يخاطب أهل الأعراف فيقول لهم: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، فقال الرازي: "وأما قوله تعالى:(ادخلوا الجنة) فقد اختلفوا فيه، فقيل: هم أصحاب الأعراف، والله تعالى يقول لهم ذلك ، أو بعض الملائكة الذين يأمرهم الله تعالى بهذا القول، وقيل: بل يقول بعضهم لبعض، والمراد أنه تعالى يحثّ أصحاب الأعراف بالدخول بالجنة واللحوق بالمنزلة التي أعدّها الله تعالى لهم، وعلى هذا التقدير فقوله (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) من كلام أصحاب الأعراف، وقوله (ادخلوا الجنة) من كلام الله تعالى، ولا بدّ ههنا من إضمار، والتقدير: فقال الله لهم هذا كما قال (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) (الأعراف:١١٠)، وانقطع ههنا كلام الملأ، ثم قال فرعون (فماذا تأمرون) فاتصل كلامه بكلامهم من غير إظهار فرق، فهكذا هنا "[2].

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان، ج: ١، ص: ٢٩٠.
(٢) الرازي، تفسير الرازي، ج: ١٤، ص: ٧٦.

وقال الألوسي: " لمّا عيّر أصحاب الأعراف أصحاب النار أقسم أصحاب النار أنّ أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة، فقال الله تعالى أو بعض الملائكة خطاباً لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة، مشيراً إلى أصحاب الأعراف، ثمّ وجّه الخطاب إليهم، فقال: ادخلوا الجنة"[1].

وقال الزمخشري: "يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة، وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفونهم بسيماهم ويقولون ما يقولون، وفائدة ذلك بيان أنّ الجزاء على قدر الأعمال، وأنّ التقدّم والتأخّر على حسبها، وأنّ أحداً لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل، ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه، وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم، وليتصوّروا أنّ كلّ أحد يُعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر، فيرتدع المسيء عن إساءته، ويزيد المحسن في إحسانه"[2].

وجاء في الآثار أنّ أصحاب الأعراف هم آخر من يفصل بينهم من العباد، ثمّ يقول الله تعالى لهم: أنتم عتقائي من النار، فادخلوا الجنة كما شئتم ، فروى ابن كثير بسنده عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير قال: " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف قال: هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ ربّ العالمين من فصله بين العباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلوا الجنة، فأنتم عتقائي، فارعوا في الجنة كيف شئتم"[3].

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ج: ٤، ص: ٣٦٥، وللإستزادة انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٤، ص: ٣٠٦؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٥؛ ابن عطية، تفسير ابن عطيّة، ج: ٢، ص: ٤٠٦؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج: ٣، ص: ١٤؛ الخازن، تفسير الخازن، ج: ٢، ص:٣١٥؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ص: ٤٩٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ج: ٨، ص: ١٦٢؛ القاسمي، محاسن التأويل، ج: ٥، ص: ١٧٩٢؛ الطبراني، تفسير الطبراني، ج: ٣، ص: ١٤٤؛ البقاعي، نظم الدرر، ج: ٣، ص: ٣٧؛ الشربيني، تفسير الشربيني، ج: ١، ص: ٥٥١؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: ٧، ص: ٢١٤٢١٥؛ أبي السعود، تفسير أبي السعود، ج: ٣، ص: ٢٣١.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج: ٢، ص: ٨١.

(٣) ذكره ابن كثير في التفسير ص: ٦٨١، وقال: هذا مرسل حسن، والطبري في التفسير، ج: ٨،

وذكرنا سابقاً ما رواه ابن المبارك وغيرُه بسندهم إلى عبد الله بن الحارث قال: "أصحاب الأعراف يُنتهى بهم إلى نهر يقال له الحياة، حافتاه قصب الذهب، أراه قال: مكلل باللؤلؤ، فيغتسلون منه اغتسالة، فيبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثمّ يعودون فيغتسلون، كلما اغتسلوا ازدادت بياضاً، فقال لهم: تمنوا، فيتمنون ما شاؤوا، قال: فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعين ضعفاً"[1].

وذهب بعض العلماء إلى أنّ أصحاب الأعراف تنالهم شفاعة خاصّة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم، فيدخلون الجنة بشفاعته صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن حجر: "وظهر لي بالتتبّع شفاعة أخرى وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عبّاس قال: "السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم"[2].

قلت: وفي الأثر إشارة لقوله تعالى: "ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير"(فاطر:٣٢)، وما جاء في الأثر يردّ على ما ذكره المفسّرون من أنّ الظالم لنفسه في النار[3]، كما أنّ سياق الآية يردّ عليهم، ذلك أنّ المراد بالذين اصطفاهم الله: المؤمنون، وقدّم في التفصيل ذكر الظالم لنفسه لرفع توهّم حرمانه من الجنة وتعجيلاً لمسرّته، وضمير (منهم) الأظهر أنه عائد إلى (الذين اصطفينا) وذلك قول الحسن، وهو الجاري على ما روي عن عمر، وعثمان، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وعقبة بن عمرو، وما هو مروي عن عائشة، وهو الراجح[4]، والله أعلم.

ص: ٢٥٤ برقم ١١٤١٥، والسيوطي في الدرّ المنثور، ج: ٣، ص: ٤٢٠، ونسبه إلى الطبري وابن المنذر.

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج: ١١، ص: ٤٢٨، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير، ج: ١١، ص: ١٨٩ برقم ١١٤٥٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: « فرجال الطبراني رجال الصحيح »، ج٧ ص٩٦ .

(٣) انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج: ٢٢، ص: ١٦١١٦٣.

(٤) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،(بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م)، ط ١، ج:

الخاتمــة

بعد هذا التطواف نخلص إلى أهم نتائج البحث، وهي:

١- الأعراف سور بين الجنة والنار، يقف عليه أصحاب الأعراف قبل دخولهم الجنة، يتعرّفون على أهل الجنة بعلاماتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجوه، كما يتعرفون على أهل النار بسواد الوجوه، وتعرّفهم عليهم إمّا أن يكون بالإلهام أو بتعليم الملائكة، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار، إذ لا حاجة بعد الدخول للعلامة.

٢- اختلف العلماء في تعيين أصحاب الأعراف اختلافاً بيّناً، وقد بلغت أقوالهم في ذلك أربعة وعشرين قولاً، وقد ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح القول بأنّ أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيّئاتهم عن دخول الجنة، وقد رويت في ذلك آثار كثيرة مرفوعة، لا تكاد تثبت أسانيدها، ومع ميلنا لهذا القول إلا أنّنا نرى أنّ هذا مما تقصر عنه فهوم البشر، والذي يلزمنا التصديق والإيمان وتفويض الأمر إلى الله .

٣- أنّ أصحاب الأعراف ناجون يوم القيامة بمحض الفضل والمنة لا بسبب الاستحقاق، فتشملهم رحمة الله تعالى بعد أن يحبسوا على الأعراف مدّة لا يعلمها إلا الله، ثمّ يقول لهم الله تعالى: "ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون"، وقد يكون دخولهم الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك جاءت الآثار عن الصّحابة رضوان الله عليهم.

٢٢، ص: ١٦٤١٦٥، ببعض التصرّف.

المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٢م

٢. البحر المحيط ، أبو حيّان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م .

٣. بصائر ذوي التمييز ، الفيروز آبادي ، المكتبة العلميّة ، بيروت.

٤. البعث والنشور ، البيهقي ، مؤسّسة الكتب الثقافيّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨م.

٥. تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، دار الفكر ، بيروت .

٦. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م.

٧. تفسير ابن أبي ابن حاتم ، ابن أبي حاتم ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرّمة ، ط ٢ ، ٢٠٠٦م.

٨. تفسير ابن عطية ، ابن عطية ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

٩. تفسير ابن كثير ، ابن كثير ، بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط ١ .

١٠. تفسير البغوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م.

١١. تفسير البيضاوي ، البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨م.

١٢. تفسير الثعالبي ، الثعالبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م.

١٣. تفسير الخازن ، الخازن ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥م.

١٤. تفسير الدر المنثور، السيوطي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ،

١٩٩٣م.

١٥.تفسير الرازي، الرازي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١.

١٦.تفسير الشربيني، الشربيني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .

١٧.تفسير الطبراني ، الطبراني ، دار الكتاب الثقافي ، عمّان ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨م.

١٨.تفسير الطبري ، الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥م.

١٩.تفسير القرطبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٠.تفسير المراغي ، المراغي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ .

٢١.تفسير نظم الدرر ، البقاعي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦م.

٢٢.تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦م، ط ١.

٢٣.تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١.

٢٤.تهذيب الكمال، المزي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٩٤م .

٢٥.تهذيب اللغة، الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م.

٢٦.جامع الترمذي ، بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط ١.

٢٧.حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ابن القيم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣م.

٢٨.حاشية الجمل على تفسير الجلالين ، الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

ط ١ ، ١٩٩٦م.

٢٩ .حاشية الصاوي على الجلالين ، الصاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

٣٠ .ديوان الشماخ ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٢٧ه.

٣١ .ديوان الضعفاء والمتروكين ، الذهبي ، دار العلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨م.

٣٢ .زاد المسير، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م.

٣٣ .سنن ابن ماجه ، بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط ١ .

٣٤ .سنن أبي داود ، بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط ١ .

٣٥ .سنن الدارمي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م .

٣٦ .سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١١ ، ١٩٩٦م .

٣٧ .شعب الإيمان، البيهقي ، دار الفكر ، بيروت.

٣٨ .صحيح ابن حبّان ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٧م .

٣٩ .صحيح ابن خزيمة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٢م .

٤٠ .صحيح البخاري ، البخاري ، بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط ١ .

٤١ .صحيح مسلم ، مسلم النيسابوري ، بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط ١ .

٤٢ .صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت .

٤٣ .طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن قيّم الجوزيّة ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٦م.

٤٤ .فتح الباري ، ابن حجر، دار الفكر ، بيروت.

٤٥ .فتح القدير، الشوكاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .

٤٦ .الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م.

٤٧ .القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، بيت الأفكار الدوليّة ، ط ١.

٤٨ .كتاب التذكرة بأحوال الموتى ، القرطبي ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٦ه.

٤٩ .كتاب الضعفاء الكبير ، العقيلي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٨م.

٥٠ .الكشاف ، الزمخشري ، دار الفكر ، بيروت .

٥١ .كل مولود يولد على الفطرة ، تقي الدين السبكي ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، مصر .

٥٢ .لسان العرب، ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت .

٥٣ .المجتبى ، النسائي ، بيت الأفكار الدولية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م .

٥٤ .مجمع الزوائد ، الهيثمي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م.

٥٥ .مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد وولده محمد ، بلا .

٥٦ .محاسن التأويل ، القاسمي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥م .

٥٧ .المستدرك ، الحاكم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م .

٥٨ .مسند أحمد بن حنبل ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ط ١ .

٥٩ .المعجم الأوسط ، الطبراني ، دار الفكر ، عمان، الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

٦٠ .مفردات ألفاظ القرآن ، الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت .

٦١ .موطأ الإمام مالك بن أنس ، بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط ١ .

٦٢ .ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، الذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥م .